

**الشيخ اليوسف: القناعة تجعل الإنسان يعيش حياة طيبة وها نئة وسعيدة**

ويبيّن أن معنى القناعة هي الاكتفاء بما تيسر من العيش والرزق الحلال، والاقتصار من متاع الدنيا وزينتها وخرفها بقدر الحاجة والكافاف، وعدم إشغال القلب والبال بما زاد على ذلك، والرضا بما قسم أهلاً تعالى له، وشكراً عليه.

وأضاف: أن القناعة لا تعني عدم السعي نحو تطوير الذات، وزيادة الدخل، والتتوسيع على النفس والعيال؛ وإنما تعني الرضا بما قسم الله للإنسان من رزق ونعم، مع العمل والسعى في طلب الرزق الحلال، مع حمد الله على نعمه ومنحه الكثيرة، وتجنب السخط والطمع والتدمر السلبي.

وقال: إن النصوص الدينية مستفيضة في مدح القناعة، والإشادة بأهل القناعة والكفاف، وفي مقابل ذلك ورد ذم الطمع والجشع أبلغ ذم!

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «خيار أمّتي القانع، وشرار هم الطامع»، وعنده صلى الله عليه وآله قال: «خير المؤمنين القانع، وشر هم الطامع».

وأكَدَ عَلَى أَنَّ لِلْقَنَاعَةِ آثَارًاٌ إِيجَابِيَّةٌ كَثِيرَةٌ؛ فَهِيَ رَاحَةٌ لِلنَّفُسِ، وَاطْمَئْنَانٌ لِلرُّوحِ، وَصَحةٌ لِلْجَسْمِ، وَاعْتِدَالٌ فِي الْمَزَاجِ، وَلَذَا رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «الْقَنَاعَةُ أَهْدَأُ عَيْشِ»، وَرُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الْقُنُوعُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ».

وَتَابَعَ الْقَنَاعَةَ تَجْعِيلَ الْإِنْسَانَ يَعِيشُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَهَا نَئَةً وَسَعِيدَةً، فَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَذُكْرُ بَيْنَهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هِيَ الْقَنَاعَةُ».

وأشار إلى أن القناعة كنز لا ينفد، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «القَنَاعَةُ مَالٌ».

لا يَنْفَدِدُ»، وروي عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «لَا كَنْزٌ أَغْنِيَ مِنَ الْقَنَاعَةِ».

وشدد على أن الإنسان القنوع من أغنى الناس، لأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس لا غنى المال، لما روى عن الإمام عليٍّ عليه السلام: «الْقَنَاعَةُ تُغْنِي»، وعنده عليه السلام قال: «طَائِبٌ الْغَنِيَّةُ فَمَا وَجَدَتُ إِلَّا بِالْقَنَاعَةِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَنَاعَةِ تَسْتَغْدُوا».

ولفت إلى أن بعض المشاكل الزوجية اليوم ناشئة من انعدام القناعة بين الزوجين، فعندما لا تقنن الزوجة بما يقدمه الزوج لها من أساسيات الحياة من مأكل ومشرب ومسكن وغيرها وتقارن حالها بحال غيرها تبدأ المشاكل والخلافات تدب في الحياة الزوجية، وكذلك عندما لا يقنع الزوج بزوجته، ويقارن بينها وبين زوجات الآخرين تبدأ المشاكل بين الزوجين بالتفاقم شيئاً فشيئاً حتى تفسد الحياة الزوجية بينهما.

وقال الشيخ اليوسف: حتى يكون الإنسان قنوعاً ويتخلص من داء الطمع والجشع عليه أن ينظر إلى من هو دونه ولا ينظر لمن هو فوقه، مما من أحد إلا وفي الدنيا من هو دونه، وفيهم من هو فوقه، والعاقل من ينظر بتفكير وتأمل في حال الدنيا، فيحمد الله تعالى ويشكره على ما أنعم عليه من نعم كثيرة، ويرضى بما قسم الله له، فهذا من أفضل السبل لجلب السعادة المعنوية والراحة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وأضاف: الأمر الثاني أن يرضي الإنسان بما يكفيه ليقنع بأيسير العيش والكافاف؛ فالقانع مكتفٍ وراضٍ بما رزقه الله وإن كان قليلاً، وأما الطامع فلا يقنع بأي شيء وإن كان كثيراً؛ ولذا فالقانع بالكافاف أسعد حالاً وأفضل حياة من الطامع الذي يعيش القلق والاضطراب والخوف حتى يقضي على نفسه بنفسه، وكما روي عن الإمام عليٍّ عليه السلام: «لَا يُلْفِهِنَّ الْحَرِيصُ مُسْتَرِحًا».

وتابع: الأمر الثالث: إن لم تكن قنوعاً ألهـمْ نفسك القنوع، ودرّ بها على القناعة حتى تحول إلى صفة ذاتية في شخصيتك، فقد روى عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «ألهـمْ نفسكَ الْقُنُوعَ».

ثم تطرق الشيخ اليوسف إلى مساوى الطمع العديدة قائلاً: إن الطمع يقود صاحبه إلى الطبع والهلاك، لأن الطمع مفتاح كل سيئة ورأس كل خطيئة، وهو صفة ذميمة وسجية سيئة، فقد روى عن الإمام عليٍّ الهادي عليه السلام أنه قال: «الْطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ».

ودعا في نهاية خطبته إلى التحلية بصفة القناعة في العيش، والتخلص من الطمع والجشع والحرس على

الدنيا؛ لأن القناعة من أسباب السعادة والراحة بينما الطمع من أسباب الشقاء والتعاسة.